دعاء المقربين وإكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعده بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتغالي ومعلة سريعة السير لا يأوي عنانها عن تجاوز الحدود الا برغم العلج وتوفيق الله . ولذلك قاسى الرسل اولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن اشراك معظميهم مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العليا وركبوا متون المصاعب والعزائم في إرجاع الناس الى حد الاعتدال وشددوا النكير على إطراء الناس إياهم وحذروا وأنذروا من مقاربة مظانّ الشرك حتى الخفيّ الذي يدب دبيب النمل

ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاسي الاهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط وسمّى أمته الموحّدين وأنزل الله القرآن ربعه في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) وجعلت أفضل الذكر لحكمة ان المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعاً فنسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاصٌّ بالمسلمين بل مقت الأمم كلها لم يكد يفارقها رسلها الكرام الا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

باب التربية والتعليم

(*) العبرة الرابعة من هجرة ابراهيم

(الجزيرتان ــ والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الاطفال أن يكون تفهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال سألني « أميل » منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدا لي من « لولا » كثرة اهتمامها بمعرفة العلة في ان فيهم أغنياء

جرى على الالسنة جواب مشهور لهذين السؤالين وهو « ذلك ما أراده الله »

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لأجيبهما بمثل هذا التعليل لأنه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي الى اذهان الاطفال معنى كبيراً لعدل الغاية العالية وما كنت أيضاً لأدخل معهما في أعوص مسائل علم الاقتصاد السياسي وأدقها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليهما قصة فقلت :

روي انه كان يوجد في مكان سحيق من بحر لست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يندر وجوده في غيرها واحتفروا بركاً توفيراً لاسباب اللذة ولم يكن في الدنيا ما يعادل زخرف موائدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب فيها أفشار ضخمة طبخت بمرقة سرطان البحر (وهو ألذ ألوان الطعام في ذوق «أميل») وكانوا في لباسهم بالغين حد الافراط في التأنق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون(١) الكجّة في الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفاة وكانت صبايا هم تغدو كل يوم في الشمال من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من فضلات موائد المشية . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمالهم في الاعمال الشاقة المقوتة بل انهم كانوا يحتقرونهم ويبغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا في المتنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بُسُط هذه المتنزهات السندسية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر بؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلة وآووا الى جبل ليأتمروا بالاغنياء فكان رأي الشبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام في مضاجعهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم وتربص بهم حتى قرّت شقشقتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبديها لكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم في صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لا أعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من العدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

(١) الكجة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كانها كرة ثم يتقامرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فاما الخزقة فيقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها الكسة .

التي تحسدونهم عليها أو كما أسلافهم من وجوه شريفة أو خسيسة ثم ملكوها من بعدهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كنهها كمال الادراك انه لابد لوجودها من سبب لان جميع الناس محافظون عليها راضخون لاحكامها حتى الآن. ثالثها ان مايجوز أن تنزعوه اليوم من أعدائكم بفليتكم عليهم يجوز ان يسلبه غداً منكم غيركم بقوته وضعفكم فعلينا اذن أن نفكر جدياً في اتخاذ وسيلة اخرى. لابد ان كلكم يعلم بوجود جزر اخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا نحس طالعنا بالولادة فيها فتضحك لنا فقراء الملاحين اخواننا الذين يحضرون الى هنا بضائعهم مشحونة بالأرزاق وسواء الزخرف التي يستعملها الاغنياء انهم رأوا غير مرة في أسفارهم ارضين تجد من الماء مكللة بالنباتات والاشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكاياتهم ان احدى هذه الجزر خالية من السكان ولاينقصها الا ارادتكم حتى تصبح جنة جمة الثمار دانية الجنى فان لنا سواعد قوية تساعدنا على العمل وهنا أنا ذا مع شيخوختي سأكون لكم قائداً وقيه واحدكم بنصائحي عند الحاجة هذا هو رأيي قد أنبأتكم به اليكم فانظروا ماذا تفعلون»

فتلقى جميعهم اقتراحه بالتهليل وما عتموا ان هاجروا الى تلك الجزيرة متعاقبين على سفن واهنة صنعوها بنفسهم من ألواح خصاصهم فعمل الاغنياء فرحاً لسفر هؤلاء الفوغاء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم لان كانوا يصدقون ويجهرون بقولهم جداً جداً هذا الخلاص

فلما كانت تلك السفن تقل الأشخاص المهاجرين لانهم كانوا لايملكون شيئاً استقر الله بل انهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم

مضى على سفرهم بضع سنين انقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة في شأنهم فمن قائل ان البحر ابتلعهم ومن واهم بأنهم أكل بعضهم بعضاً. وبينما هم في هذا الاختلاف اذ رأوا ذات يوم سفينة مشحونة بالنزلاء وعروض التجارة رست على ميناء جزيرتهم فلم يلبثوا ان عرفوا من لهجة ملاحيها وبعض ملاح وجوههم انهم من سكانها السالفين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون أنهم آتون من جزيرة أخرى استقامت فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيماً لانهم ما حرثوا الارض وأحيوا مواتها حتى جللتها الحصائد وملأتها المزارع والمواشي فاعتبر الاغنياء هذه الأخبار من الأساطير وقهقهوا لسماعها قهقهة المجانين.

على ان الملاحين لم يكونوا مبالغين في شيء مما قالوا فانه كان يخرج من أرض تلك الجزيرة الفقيرة على نحو من السحر حقول مكسوة بالزروع وقرى ومدن وطرق

[illegible] فكان [illegible] [illegible] [illegible] في غبطة وهناء وقد صرفت عليهم المكنة رؤوسهم فانتهوا يسخرون آباءهم بذورهم الى أن فرق واحد منهم ولذلك كانوا يبكرون بتأديبهم للعمل وانشائهم على حبه

أصبح الأمر على خلاف ذلك في جزيرة الاغنياء فكانت الثروة فيها تنقص من يوم الى يوم لان سكانها لما كانوا من فرط الكبر والكسل بحيث انهم يستنكفون ان يتولوا بأنفسهم حرث الارض لم تلبث ان امتلأت عاقولا وتعطلت جميع الحرف والصنائع لفقد عالها وتبع ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والقصور فلم يوجد من الرجال من يقيم مناآدها .

فزع الاغنياء في بدايا هذا الانحطاط الى صناع الجزائر المجاورة لهم فلم يجيبوا دعوتهم لانهم كانوا على بينة مما كانوا يعاملون به اخوانهم فلم يرضوا لانفسهم ماقاساه هؤلاء من ضروب الاهانة .

ثم ان من بقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وانهم اشتروا من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدة من الزمن ولكن كل كنز لابد من نفاده بالغاً من الكثرة مابلغ خصوصاً اذا كان أصله لايتجدد ومن أجل ذلك لم يمض الا بضع سنين حتى غابت أموالهم وأنشأوا يندمون ولات حين مندم على مافرط منهم من القسوة والظلم في معاملة الفقراء .

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد تخلى عنهم من كانوا يحوطونهم من الخدم والحشم لعجزهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جر عجلاتهم لفقدها من كانوا يقومون على تغذيتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع متسللات نعالا من الديباج مشوهة الاعقاب ولابسات جلابيب من الحرير المذهب كلها ممزق ومخرق لأنه يخجل أولئك السيدات الجليلات ان يرفعن ثيابهن بايديهن فاذا نظر اليهن ناظر وهن في هذه الاهدام بهذا الصلف والعجرفة بمثله حالهن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن من القسوة واللؤم الاستهزاء بالنساء البائسين ولو كانوا من الاشرار .

وجملة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المعدمين . كان القحط يزداد فيها من سنة الى أخرى فقد ضعفت الارض عن التحصيل لعدم ماكان يخدمها من الايدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولو لم يتداركهم أولئك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم بما فضل عن حاجتهم لهلكوا عن بكرة أبيهم .

كان « اميل » كثير الاسفاء الميّ في حكايتي لهذه القصة وما فرغت منها حتى ايندرني بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والثروة » فأجبته ان هذا ليس مطرداً ولكن أقل فائدة له انه يغني الأمم التي تعرف مناهج العمل وتسلكها . اه

باب الأحياء والأموات

﴿ أحياها محمد علي وأماتها خلفه ﴾

نشرنا مانشرناه في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تعرض لذكر بيت الإمارة (العائلة الخديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولكننا لم نسلم من عقارب السعاية فقد قال المحالون إننا أهنا هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فاننا برآء من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألقاها وطبعها وقرأها في الاسكندرية قد عجبوا لما فيها من المبالغة والغلو في مدح محمد علي وذم خلفه في الامارة لاسيما اسماعيل باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطل الأحداث — لعلمهم بانه لا يراد بالخطبة خدمة للتاريخ ولا تأييداً لمعتقد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله وانما المراد بها ارضاء الأمير الحاضر والتزلف اليه والشهرة بين الناس . وهم ان يعجبوا ممن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى بنى وأنت وأبوك وجدك الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحيا وأنتم أمتم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم . فهذا هو ملخص الخطبة ونحن نزيده تفصيلا تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه أهان البيت الخديوي الآن وتوجيهاً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيد بكلام صاحبها في جريدته وسائر قوله صريح في أن الأمة المصرية أمة حية قوية عزيزة الجانب مستعدة لأن تبذ جميع الأمم وتعلوها في كل علم وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستعداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤنها

... ولذلك جاءها تحت على السكون والقعود وهي على شر حال ، فعطل أيديها أعظم الأعمال . وصرح ايضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار وضعف ومهانة ، حقوق مغصوبة ، وظائف مسلوبة ، وعزائم مقبورة ، ومزايا مستورة ، ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعلم به مما قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل إنسان يفهم ان السيف الذي يقط الرقاب ويطلق الهام وهو مدي مُفَلَّل لا يعجز عن ذلك بعد السن والنحافة ، وان العمل الذي يقدر عليه الانسان وهو ضعيف ومريض يكون أقدر عليه بعد عود الصحة وثوب العافية ، فكيف دوخت الأمة المصرية الأمم التركية وظفرت بالدول الحربية المستعدة مع محمد علي واستسلمت وخضعت للانكليز على عهده ؟ فيقول وهو ان الثاني : ان هذا العجاب بلسان مقال مصطفى بك كامل . ولسان حاله بل مفهوم كلامه يقول

« عادة السيف أن يزهو بجوهره ... وليس يعمل الا في يدي بطل »

جاء في الصفحة الرابعة من الخطبة ان الأمة المصرية التي فتحت البلاد والأمصار وكان عددها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددها اليوم قادرة على بلوغ غاية العز ... وجاء فيها ان محمد علي ما ضرب وغلب وساد ، وأخضع لسلطان مصر البحار والبلاد ، الا بعقل المصري وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عليلة ضئيلة لا حراك بها » ... « فرأها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء وأيام المحن والفتن قادرة على القيام بأعظم الأعمال . فيها من روح الحياة وقوة النهوض ما يزحزح الجبال الراسيات ، وتخر أمامه الشم الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الفزاة الفاتحين وأنه « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طالما تصرفت فيهم الكوارث كما شاءت ابتلاءً وشجعاناً اهتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت جيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرتهم » . وفي الصفحة الخامسة كشف السر عن ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر الفاتحين القادرين وهو ان (محمد علي) الذي أدرك بواسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك اليأس سلطاناً على نفسه » . كأنه يقول ان الامير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في أكمل مظهر بعمل جده وكان جده رأى وهو كنز مخفي وان هذا يئس من نفسه ومن أمته ولذلك لم يتصد للانتفاع بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا ولكنه قال في أول الصفحة السابعة ان من يعرف جيش مصر وأعماله في زمن

محمد علي بقتل ، وان يحتفظ بمنافياً حماماً ثانياً بالهي الثروة وأحلّ محلها أمة عاداها زمان فلم يترك لها ارادة ، ولا يلبسها غير لباس الهوان والاستسلام » . فهل يمكن أن نفسر هذا الحادث الأليم الذي عبر رأيه بغير ما تقدم من سوء معرفة الأمير الحاضر بقوة الأمة المصرية وبأسه من تقدمه وتمسكها بحريتها وعزتها في أعلى الدرجات ..؟؟ وكأنه ذكر الاسطول تمريضاً ببيع البواخر الخديوية على عهد هذا الأمير

بعد هذا توّهت الخطبة (ص ١٧) بالمعامل والمصانع التي أنشأها محمد علي في المدائن والقرى وبالعمال الذين زاد عددهم المليون ولم يذكر أن من هذه المعامل ، ومن بين أيدي هؤلاء العمال بعد ارتقائها فيها . ثم عاد الى التنويه بالقوة الحربية والسياسية ففي الدرجة السامية ان (محمد علي) أحاط مصر بسور من القوة لم يكن لها به عهد ، وجمع شملها بعد ان كانت متفرقة ، فأعاد الأمة واحدة ، وانه هو وحده مصر عقلاً مدبراً وقلباً شاعراً وساعداً شديداً وبيتاً تليداً (كذا) وانه هو المصريون وطناً وأمة وحكومة ، فلسانه يتكلم عن لسانهم وانشاؤه عن الوطن والشهامة والإقدام وحبّ العلم والفخر ، ورفع الراية المصرية على كل مكان ، فأين ذهبت هذه المزايا بانهاء لا يجب حل محلها « الوهن والاستسلام » لأيّ أسباب من أعلى مكانة تعرج اليها الأمم الى أسفل تهور ؟ لا يفهم من الكلام الا أن أحفاد تلك العناصر هم الذين اضطروا المغلوب وفرقوا الشمل بعد جمع وحولوا بأيديهم الشهامة والاقدام ، الى ذل ووهن واستسلام . يدل على هذا ما بعده في الخطبة

جاء في الصفحة التاسعة بقصير ما تقدم ان حكومة محمد علي كانت « قائمة على مبادئ ثلاثة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيا ملكة بدون إحيائها وهي أولاً حماية الوطن من الاعتداء الأجنبي وساقته ثانياً ترقيه المصري الى أسمى المراتب بمزاحمته للأجنبي في الأعمال ثالثاً الامتناع عن الدين واجتنابه كل الاجتناب » وظاهر ان أحفاد محمد علي لم يتمسكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فاسماعيل باشا أخذ الدين بالملايين وهو أساس الاستعباد كما في (ص ١١) من الخطبة ، وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين حتى ضباط العساكر من ترقيتهم الجراكسة والاتراك (الدخلاء) في الوظائف السامية ، وحرمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكليز عندما اجتمعت كلمتهم وثاروا يطلبون أحد المبادئ الثلاثة « التي زعم حديث السياسة ان (محمد علي) أقام عليها حكومته وأن اسماعيل باشا وتوفيق باشا هما اللذان أضاعا البلاد المصرية وباعاها وهدما

[illegible] فهم الخطاب من خطبته ما فهمه كل مصري أم لا ؟ ان كان قد فهم فلم يأمن المصريين في جريدته ؟ وان كان قد فهم من غير فهم فكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومدونها ولا يفهمها !!!

وفي الصفحة العاشرة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال « مصر اليوم تمثل الاستسلام للانكليز والرضوخ لسلطته والامتثال لارادته » وهي هي التي ردته عن الديار تحت امارة محمد علي وفي ظل رايته » ثم أثنى على الامة المصرية بباب الانكليز ما أثنى وذكر ان الانكليز اذا أرادت أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه الدولة الناشئة اقامت وشيدت بنو مصر أي أمتهم وايراهيم محمد علي أبي أمير هؤلاء فتركت الامور والبلاد أسفة بل فشلها مصرية بها المجد الباهر والعزم القاهر والوطنية الحقة والهمة المجيدية » ومطوق الكلام صريح في ان الذي أرى الانكليز ذلك العزم القاهر في نفسه وفي الامة المصرية هو محمد علي وانه هو الذي كان امام الامة في الاستقلال ومفهوم من أمير هذا عصر الاحتلال الحاضر لم يقدر أن يرى الانكليز أو أميرهم أية أمة أنه قال بحجة انه هو سيد والامام في هذا الاستسلام »

ولكن أكثر المصريين ان لم نقل كلهم قالوا ان الامير الطائف (وفقه الله تعالى) قد بلغ مقام همة محمد علي وعزمه ، وزاد عليه بدينه وعلمه ، ولكنه لم يجد في البلاد رجالا أصحاب عزائم يعملون بهمته كما وجد محمد علي » والسبب في هذا هو انعدام في المثار الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والعزيمة والنجدة في البلاد فحاربها حتى قضت بعد ولايته في زمن قريب » فقالة (آثار محمد علي في مصر) التي اثرناها في الجزء الماضي يمكن ان يحتج بها من يعتذر لأميرنا الحاضر (أيده الله) واذا سلمت بهذه المدائح والمذاهب التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي حجة على كل أولاده واحفاده ويجب ان تبعث في نفوس المصريين حب محمد علي وبغض جميع ذريته الحاكمين وعقبهم لأنهم هم الذين أضاعوا الاستقلال النفوس فضاع في أثره استقلال البلاد لاسيما بعد الدين واعطاه الوظائف « للدخلاء »

وان تعجب فعجب سعي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سماحتهم اليه باسم النصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال أحدهم لسموه « اذا لم تقطع هذه الرؤوس النابتة كما فعل جدك فلا يصفو لك الملك في مصر » فليتق الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون ، ويفشون في عين مابه

ينصحون ، ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا انهم ينتفعون ،

ومما يصح ان يعد حجة صريحة في الخطبة على ماتقدم فيها بالمفهوم من ان خلف محمد علي هدموا ماباناه ، وأمتوا ماأحياه . ماني الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية ، والامة اليابانية ، وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بانها لو سلكت السبيل الذي وجهها اليه محمد علي لبلغت من الشأن والشأو مالايكنه كنهه ، فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شيء هو في طبيعتها واستعدادها فمن الذي يحولها عنه بعد ذلك الا الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟ ؟ الكلام صريح ، ليس بتعريض ولا تلويح ،

هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولا نتعرض لما فيها من الغلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية المصرية والدين والاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفا وانما كان أميّاً لا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئا ، وفي الخطبة انه تعلم القراءة بعد الاربعين ، ولكنه لم يتعلم من العلم شيئا وحسبنا ماتقدم في المنار من حقيقة أمره ، نعم اننا لم ننكر انه كان جنديا باسلا وشجاعا حازما وبذلك تيسر له ان يكون قائداً لأولئك الشجعان الذين أباد بهم ثم أبادهم

وبقي في الخطبة كلمتان لابد من التنبيه عليهما ، احداهما ماجاء في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وفيها انتهى كل قوة في مصر وهي السلطة المالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الخديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها . فمن الذي يستطيع ان يفهم هذا الكلام ، بعد كل ماتقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحية لهذه القوة الكبرى ولا سيما وقد نصحت في آخر الخطبة للمصريين ان يتركوا اليأس ويبنوا مجدهم المقبل على التربية الوطنية ، ليخرج منهم رجال عظام يبدلون ليل الاوطان بالنهار ، فهل يريد انه ليس فيهم الآن رجال وهل يريدان يعتمدوا على أنفسهم ، لا على عرش الخديوية وقوته الكامنة وهل يمكن ان يعود اليهم مجدهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلا انه ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه المنفرد بالحث عليها وانها الحية للبلاد ليفهم الناس انه هو محيي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : انني خطبت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أثرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز فخرج القوم يضحكون من هذا الغرور

﴿مصاب عظيم . بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب الشرق بفقد رجل عظيم من رجال الاصلاح الاسلامي وعالم عامل من علماء العمران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو السائح الشهير ، والرحالة الخبير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد الفراتي. اختطفت المنية منا هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وقوضت أقوى الدعائم والاساطين . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لو كان الرثاء والتأبين من موضوع المنار لرثيته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستمير المدامع ، لاستعبر القارئ والسامع ، ولا لاستمد الرثاء من خيال الشعراء ، ولا الحزن من فؤاد الخنساء . وانما استدعي القلب بعض ما يجد من الكرب ، فانه ما أحزني خطب كخطبه ، ولا أمضني كرب ككربه .

حزني عليه دوره مسلسل مهما انتهى الى الفناد انقلبا

ولكنني أدع الرثاء والتأبين ، لأفاضل الشعراء المجيدين ، وأذكر في المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت الشرق الرجال العظام ، وكيف تضيعهم الامم والحكام ، ولتكون ذكرى لمن يذكر ، وعظة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيد الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين احداهما مصدق عليها من والي حلب المشير عثمان نوري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حلب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرته الاجتماعية والسياسية والادبية وهذا تعريبها ملخصاً :

(السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن افندي ووالده الشيخ أحمد أفندي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة الكواكبية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب وبيتهم من بيوتات المجد والشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلية وحلب . ولد السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استحضر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأسرته وأخذ الاجازات من علمائها ودرّس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

... بمتن الفنون الحديدة للطالعة والقراءة . ومن تأليفه تحرير الجريدة الرسمية (فرات) بقسميها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جريدة الشهباء التي أنشأها في حلب سنة ١٢٩٣ وكان هو المحرر لها

(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسميا في الثامنة والعشرين من عمره وفي سنة ١٢٩٣ عين محررا رسميا للجريدة الرسمية بقسميها (كان كان في سنة ١٢٩٢ يحررها بصفة غير رسمية للاختبار) براتب قدره ثمانمائة قرش . وفي ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً مخرباً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (يعنون بالمخربي ما كان بدون راتب) . وبعد ثلاث سنين انشئت دائرة اللجنة يزيد فيها قسم للمحافظة (الاشغال العمومية) وعين عضوا مخربا فيها . وفي ٢ جمادى الاولى نصب محررا للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار مأمور الاجراء (رئيس قلم المحضرين) في ولاية حلب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً مخرباً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً مخرباً لمطبعة الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً مخرباً للجنة (قومسيون) النافعة وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين بامر نظارة العدلية (الحقانية) في الاستانة عضواً في محكمة التجارة بولاية حلب ... في وظيفته الاولى (محرر المقاولات) وفي سنة ١٣٠٣ انفصل من هذه الاخيرة وفي ٤ رجب سنة ١٣٠٤ عاد الى وظيفة مأمور الاجراء وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الأولى وجاء في الثانية بعد ذكر ما تقدم انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حلب (باشكاتب) بقرار من مجلس الوزراء في دار السلطنة . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢ عين ناظراً ومتفتشاً لمصلحة أملاك السلطان (الرعي) المشتركة مع نظارة المالية في ولاية حلب ومتصرفية الزور . وفي اثناء ذلك اتفق مع ادارة المصلحة وتعاقدا على أن يستلم من المصلحة جميع ما تقاضاه من الاخان (الدفع) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيها منه ويتولى بيعه ونقده في اراضي ذلك بمبالغ من المال يزيد عما كانت تبيع به المصلحة دخانها زيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رياسة كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً للجنة البيع والفراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي ٧ ربيع الاول عين رئيساً أولا لغرفة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف

[illegible] وفي ١١ [illegible] ٢٥٠ [illegible] رؤس الوزراء الثانية . وفي ٢٥ ربيع الثاني وجه [illegible] هذه الرتبة . وفي ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٢ وجهت اليه مولويه أزمير الخ . وفي ٢٨ من جمادي الثانية أنعم الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة اه

ان من ينظر في هذه الترجمة الرسمية وهم من علية المترجم ولا يسيره في هذه الوظائف العلمية الادبية الإدارية القلمية المختوفة بالجارية الزراعية المالية يقول ان صاحبها من أوساط الناس لا من افراد الرجال الذين يعدون من علماء الاجتماع وأركان العمران ومهذبي الأمم كما وصف في فاتحة الدول وانه كان يعلم انه في كل عمل منها اية يبتة في إتقان العمل وحكمة التصرف فكيف يحسن رجل هذه الاعمال المتباينة . واذا وقف بعد ذلك على بعض سيره في المرتبة وقوة الإرادة وعلم ما كانت تسمو اليه نفسه ويرمي اليه فكره وقرأ بعض ما جاءت به قريحته الوقادة ، وفكرته النفاذة ، علم أنه من افراد الزمان ، وان لا ماذا كان يرمي منه ولو امتد الزمان والمكان ، وانا نلم بشيء مما وقفنا عليه من سيرته في مدة صحبتنا له في هاتين السنتين اللتين اقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدة الفقيد وهو في أول سن التميز فعهد والده بتربيته الى خالة له (من بيوتات انطاكية) من نوابغ النساء اللواتي قلما يعرف مثلهن الشرق لا سيما في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع فنشأته على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراسخة الحلم والأناة والرفق والنزاهة والعزة والشجاعة والتواضع والشفقة وحب المعضاء وقد كنت تكاد من عرفه معجبا بأناته حتى كنت أقول اني أراه يتروى في رد السلام ويمكث في جواب من يحييه عدة ثوان ولا اكاد أعرف أخلاقا أعصى على الانتقاد من أخلاقه ولقد كان لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعتصم الحلم بجنبي حجوتي ... اذا رياح الطيش طارت بالحبي
* لا يطيبني طعم مدنس ... اذا استمال طمع أو اطبى *
والحلم خير ما اتخذت جنة ... وأنفس الاجراد من بعد التقى

(علمه ومعارفه) نزيد على ما جاء في السيرة الرسمية ان الفقيد درس قوانين الدولة درسا دقيقا وكان محيطا بها يكاد يكون حافظا لها وله انتقاد عليها يدل على دقة نظره في علم

[illegible] ولا أعلم أنه برز في فن
[illegible] الأثر عن به عماد أو أنبأ به تعليما [illegible] لا ان يقع عما لا يتغير من اللذين صرفه
فيه أعمارهم. الا تراه [illegible] في طبائع الاستبداد لم يكتب مثله فيما وقف
في الشرق ولا في الغرب في نحو [illegible] من كتيرين لهم اطلاع واسع في مؤلفات
فلاسفة الغرب وكتابه [illegible] على أنه اعتنى لم يعلم شيئاً من علوم النفس والاخلاق
والسياسة وطبائع الملل والفلسفة في [illegible] وانه مستغنٍ في هذه العلوم بما طالعه في
من المؤلفات والجرائد التركية والعربية [illegible] أن سعادة يتصرف هذا التصرف الذي
يفوق فيه الحكماء والفلاسفة في علم [illegible] أصعب العلوم التي يمرن الملها
كيف يكون أمره لو تربى وتعلم في مدارس منظمة كمدارس أوربا [illegible] وكان
عنده من مواد العلم ومعرفة الامة والحكومة بنية صالحة مستعدة في أوربا [illegible] لعلمه
انك لم تكن تذاكره في شيء ولا تعلم الا ويشاركك فيه على بصيرة

(عمله ووجهته) كانت وجهة الفقيد في كل عمل يأخذ يحاوله هي النفعة العامة فأول شيء ولاه
وجهه هو انشاء جريدة في بلاده لم تكن تعرف الجرائد الاهلية ولم تكن بضاعة الكتابة رائجة
فيها ولو كان في بلاده حرية الجرائد لكان لها في [illegible] من الأثر المشهود ولكن البلاد التي
تحكم بالاستبداد كالأرض التي يسود الاعتقاد فيها [illegible] من الجراثيم
اللاتي انشأها لأن نفسه الابية لم تستطع [illegible] الكلم مما يكتب وهكذا كان شأنه في
وطنه نفسه — ولي رياسة البلدية فكان أول عمل عمله للبلد [illegible] على طرق المدينة
من خارجها سلاسل من الحديد تمنع الخيل التي كانت تدق العلاقات وتمنع المارين
من التردد في حوانيتهم، فجعل هذا الفناء الذي تحول الى البلاد [illegible] مكاناً أو أكثر
[illegible] وكانت [illegible] في [illegible] الاغنياء يأخذها
من البلدية بالالتزام ولا يقدر على [illegible] أحد لقربه من الرؤساء فلما علم ان
الرئيس الجديد لا يسامح [illegible] عن [illegible] عرض عليه أربعين ألف
قرش أو أكثر بعطيه اياها (رشوة) فقال لم في مقابلة سكوته عنه فلم يقبل الفقيد
أن يأخذ لنفسه شيئاً ولكنه قبل ان يكون المبلغ [illegible] صندوق البلدية فعلم الوالي
بهذه الزيادة في الصندوق وسعى في أن يكون له [illegible] فأبى عليه الفقيد ذلك فعزله.
وهكذا كانت سيرته مع الحكام في كل وظائفه أو جاها — يصدى للاصلاح فيصدونه
عنه لأجل منفعة مالية أو لتقليل نفوذه فلا يتم له عمل

(لها بقية)